البَابُ السَّابِعَ عَشَرَ

فِي الْفَرْقِ بَيْنَ التَّكْلِيفِ والاخْتِبار والفتْنَة والتَّجْرِيب وبَيْنَ اللُّطْف والتَّوْفِيق وبَيْنَ اللُّطْف واللَّطف وما يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ

«الفرق» بين التكْليفِ والابْتِلاءِ أن التَّكْليفَ إلزامُ ما يشق إرادةَ الإنْسَانيةِ عليه، وأصْلُه في العربية اللزومُ، ومن ثَمَّ قيل كُلِّف بفلانةٍ يكلَفُ بها كلفًا إذا لزمَ حُبهَا، ومنه قيل الكَلَفُ في الوجْه للزومه إيّاه والمتكَلَّفُ للشَّيْء الملزم به على مشقةٍ وهو الذي يلتزمُ ما لا يلزمه أيضًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص:٨٦] ومثله المكلَّفُ. والابتلاءُ هو اسْتخراجُ ما عند المبتلى وتعرُّف حاله في الطاعة والمعصية بتحميله المشقة وليس هو من التكليف في شيء فإن سُمِّي التكليفُ ابْتلاءً في بعض المواضع فقد يجري على الشيء اسم ما قاربه في المعنى، واسْتِعْمالُ الابتلاءِ في صِفَات الله تعالى مجاز مَعْنَاه أنه يُعَامِل العبدَ مُعامَلةَ المُبْتَلى المستخرج لما عنده، ويقال للنعمة: بَلَاءٌ لأنه يستخرج بها الشكر والبلى يستخرج قوة الشيء بإذْهَابه إلى حالِ البال فهذا كله أصلٌ واحدٌ.

«الفرق» بين التَّكْليف والتَّحْميل أنَّ التحْميلَ لا يكون إلا لما يستثقل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾[البقرة:٢٨٦] والإصْرُ الثِّقَلُ. والتكليفُ قد يكون لما لا يثقل له نحو الاستغفار تقول: كَلَّفه الله الاسْتِغْفَارَ ولا تقولَ حَمَّلَهُ ذلكَ.

«الفرق» بين الابْتلاءِ والاخْتِبارِ أن الابْتِلَاءَ لا يكونُ إلا بتحميل المكَارهِ والمشَاقِّ. والاختبارُ يكونُ بذلك وبفعل المحبوب، ألَا تَرَى أنه يُقالُ اخْتَبرهُ بالإنْعَامِ عَلَيْهِ ولا يقال ابْتَلاهُ بذلك ولا هو مبتلًى بالنعمة، كما قد يقال اختبرهُ بالإنْعَام عليه، ولا تقول: ابْتَلاهُ بذلك ولا هو مبتلًى بالنعمة كما قد يقال إنه مختبرٌ بها، ويجوز أن يقال إنَّ الابتلاءَ يقتضي استخراجَ ما عند المبتلى من الطَّاعة والمعصية، والاخْتبارُ يقتضي وقوعَ الخبر بحاله في ذلك، والخبر: العلمُ الذي يقع بكُنْهِ الشيء وحقيقتهِ فالفرقُ بينهما بَيِّنٌ.

«الفرق» بين الفِتْنَةِ والاخْتِبارِ أنَّ الفِتْنَةَ أشَدُّ الاختبارِ وأبْلغُهُ، وأصْلُه عَرْضُ الذَّهب على النار لتبيُّنِ صَلاحِه من فَسَادِه، ومنه قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[الذاريات:١٣] ويكون في الخير والشر، ألا تَسمعُ قوله تعالى: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[الأنفال:٢٨] وقال تعالى: ﴿لَّأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[الجن: ١٦-١٧] فجعل النعمةُ فتنةً لأنه قصدَ بها المبالغة في اختبار المنعم عليه بها كالذَّهب إذا أريد المبالغة في تعرف حاله فيراني أدخل النار، والله تعالى لا يختبرُ العبد لتغييرِ حاله في الخير والشَّرِّ وإنما المرادُ بذلك شدة التكليفِ.

«الفرق» بين الاخْتِبارِ والتَّجْرِيب أنَّ التَّجريبَ هو تكريرُ الاختبار والإكْثَار منه، ويدلُّ

على هذا أن التفعيلَ هو للمبالغة والتكريرُ، وأصله من قولك جرَّبَه إذَا دَاوَاهُ من الجرب فنظر أصلحَ حَالُه أم لا، ومثله قرد البعير إذا نزع عنه القردان وقرع الفصيل إذا داواه من القرع وهو داءٌ معروفٌ، ولا يقال إن الله تعالى يجرب قياسًا على قولهم يختبر ويبتلي لأن ذلك مجازٌ والمجاز لا يقاسُ عليه.

الفَرْقُ بين اللُّطْفِ والتَّوْفيقِ والعِصْمَةِ واللُّطْفِ والرِّقَّةِ وَمَا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ

«الفرق» بين اللُّطْفِ والتَّوْفيق أن اللُّطْفَ هو فِعْلٌ تَسهلُ معه الطَّاعَةُ على العبدِ ولا يكون لُطْفًا إلَّا مع قَصْدِ فاعلِهِ وقُوعِ ما هو لطف فيه من الخير خاصة، فأما إذا كَانَ ما يقع عنده قبيحًا وكان الفاعل له قد أراد ذلك فهو انتقادٌ وليس بلُطْفٍ والتوفيقُ فعل ما تتفقُ معه الطاعة وإذا لم تتفق معه الطاعة لم يسمَّ تَوفيقًا، ولهذا قالوا: إنه لا يحسنُ الفعل، وفرقًا آخر وهو أن التَّوفيقَ لطفٌ يحدث قبل الطاعةِ بوقتٍ فهو كالمصاحب لهذا في وقته، لأنَّ وَقْتَهُ بلا وقْتَ فِعْلِ الطاعة، ولا يجوز أن يكون وَقْتُهما واحدًا لأنه بمنزلة مجيء زيد مع عمرو، وإن كان بعده بلا فصل، فأمَّا إذا جاء بعده بأوقات فإنه لم يجئ معه، واللُّطْف قد يتقدَّمُ الفِعْلَ بأوقاتٍ يسيرةٍ يكون له معها تأثيرٌ في نفس الملطُوف له، ولا يجوزُ أن يتقدَّمَهُ بأوقاتٍ كثيرةٍ حَتى لا يكون له معها في نفسه تأثيرٌ فكلُّ توفيقٍ لُطْفٌ وليس كُلُّ لُطْفٍ تَوْفيقًا ولا يكونَ التوفيقُ ثوابًا لأنه يقعُ قبل الفعل ولا يكونُ الثوابُ ثوابًا لما لم يقَعْ ولكن التَّسْميةَ بموفق على جهة المدْح يكون ثوابًا على ما سلفَ من الطَّاعة، ولا يكونُ للتوفيق إلا لما حسنَ من الأفعال، يقال وُفِّقَ فلانٌ للإنصاف ولا تقول وُفِّقَ للظُّلْم ويسمَّى توفيقًا وإن كان منقضيًا في حال ما وصف به أنه توفيقٌ فيه، كما يقال زيدٌ وافقَ عَمْرًا في هذا القول، وإن كان قَوْل عَمْرٍو قد انقضى، واللُّطْف يكون التدبيرُ الذي ينفذُ في صغير الأمور وكبيرها فالله تعالى لَطِيفٌ، ومعناه أن تدبيرَهُ لا يَخْفَى عن شيءٍ ولا يكون ذلك إلا بإجرائهِ على حقِّه، والأصلُ في اللَّطِيفِ التدبيرُ ثم حُذِفَ وأُجريتِ الصِّفَةُ للمدبِّرِ على جهة المبالغة، وفلانٌ لطيفُ الحيلةِ إذا كانَ يتوصَّلُ إلى بُغْيَتِهِ بالرِّفْقِ والسُّهولَةِ ويكون اللُّطْفُ حُسْنَ العِشْرَةِ والمُداخَلةِ في الأمورِ بسهولة واللُّطْفُ أيضًا صِغَرُ الجسم خِلافَ الكَثَافَةِ واللطف أيضًا صغرُ الجسم وهو خلافَ الخَفَاء في المنظر، وفي اللُّطف مَعْنى المبالغةَ لأنه فَعِيلٌ وفي مُوفِّق معنى تَكثير الفعل وتكريره لأنه مفعل والعِصْمَةُ هي اللطيفة التي يمتنع بها عن المعصية اختيارًا، والصفةُ بمعصوم إذا أُطْلِقَتْ فهي صفةُ مَدْحٍ وكذلك الموفق فإذا أُجْرِي على التقييد، فلا مَدْحَ فيه ولا يجوز أن يُوصَفَ غير الله بأنه يعصمُ، ويقال عَصَمَهُ من كذا ووفَّقه لكذا ولَطَفَ له في كَذَا، فكلُّ واحدٍ من هذه الأفعال يُعدِّي بحرفٍ، وههنا يوجب أيضًا أن يكون بينهما فروقٌ من غير هذا الوجه الذي ذكرناه وشرح هذا يطول فتركته كراهة الإكْثَارِ وأصولها في اللغة واشتقاقاتها أيضا توجبُ فروقًا من وُجوهٍ أُخَرَ فاعْلَمْ ذلك.

«الفرق» بين اللُّطْفِ واللَّطَفِ[1] أن اللطف هو البر وجميل الفعل من قولك فلانٌ يَبرُّني ويلطفني ويسمَّى الله تعالى لطيفًا من هذا الوجه أيضًا لأنه يواصل نعمه إلى عباده.

«الفرق» بين اللَّطْفِ والرِّفْق أن الرِّفق هو اليسرُ في الأمور والسهولة في التوصل إليها وخلافه العنف وهو التشديد في التوصل إلى المطلوب، وأصْلُ الرفقِ في اللغة النَّفْعُ ومنه يقال أرفق فلانٌ فلانًا إذا مكَّنه مما يرتفق به ومرافق البيت المواضع التي ينتفع بها زيادة على ما لا بد منه، ورفيقُ الرجلِ في السفرِ يُسمَّى بذلك لانتفاعه بصحبته وإلا هو على معنى الرفق واللطف، ويجوزُ أن يقال سُمِّي رفيقًا لأنه يرافقه في السير أي يسير إلى جانبه فيلي مرفقه.

«الفرق» بين اللطْف والمُدَارَاةِ أن المُدَارَةَ ضَربٌ من الاحتيالِ والخَتْلِ[2] من قولك دريتُ الصَّيد إذا ختلتُه وإنما يقال داريتُ الرجَلَ إذا توصلتَ إلى المطلوب من جهته بالحيلة والخَتل.

البَابُ الثَّامن عَشَر

في الْفرْقِ بَيْنَ الدِين والملّة والطَّاعَة والعِبَادَة والفَرْض والوجُوب والحلال والمُباح وَمَا يَجْري مَعَ ذَلك

«الفرق» بين الدِّين والمِلَّة أن المِلَّة اسمٌ لجملة الشريعة، والدِّينُ اسمٌ لما عليه كل واحد من أهلها، ألا تَرَى أنه يقال: فلانٌ حَسَنُ الدِّينِ، ولا يقال حَسنُ المِلَّةِ وإنما يقالُ هو من أهل المِلَّة ويقال لخلاف الذِّمِّي الملي نسبة إلى جملة الشريعة فلا يقال له: دِينيٌّ وتقول ديني دينُ الملائكة ولا تقول مِلَّتي مِلَّة الملائكة، لأن المِلَّةِ اسمٌ للشرائعِ مع الإقرار بالله. والدينُ ما يذهب إليه الإنسان ويعتقد أنه يقرِّبه إلى الله وإن لم يكن فيه شرائع مثل دين أهل الشِّرْك وكلُّ مِلَّة دينٌ وليسَ كلُّ دينٍ مِلَّةً واليهودية ملَّة لأن فيها شرائع وليس الشِّرْكُ ملَّةً وإذا أُطْلق الدين فهو الطاعة العامة التي يجازى عليها بالثواب مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩] وإذا قيّد اختلفت دلالته وقد يسمَّى كلُّ واحد من الدِّين والملَّة باسم الآخر في بعض المواضع لتقارب معنيهما، والأصل ما قلناه، والفُرْسُ تزعم أن الدِّينَ لفظٌ فارسيٌّ وتحتج بأنهم يجدونه في كتبهم المؤلَّفة قبل دخول العربية أرضهم بألف سنة ويذكرون أن لهم خطًا يكتبون به كتابهم المنزَّل بزعمهم يسمَّى دين دوري أي كتابه الذي سماه بذلك صاحبهم زراد شت وحين نجدُ للدِّين أصلًا واشتقاقًا صحيحًا في العربية وما كان كذلك لا نحكم عليه بأنه أعجمي وإن ما قالوه فإنَّ الدينَ قد حصل في العربية والفارسية اسمًا لشيء واحد على جهة الاتِّفاقِ وقد يكونُ

---

(١) اللُّطْفُ: من قِبَل الله تعالى، أي التوفيق والعصمة. واللَّطَفُ: الرِّفق والهدية، يقال أهدى إليه لطفا. وما أكثر لُطْفه وألطافه!!

(٢) الختل: أي الخديعة عن غفلة.